مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي

د.لخضر العرابي
جامعة تلمسان

إنّ الالتزام في الإسلام بمعناه الأصيل ليس نقيض الحرية التي يختلف مفهومها من فلسفة إلى أخرى ومن مذهب لآخر. فالحرية في الدول الشيوعية والبلدان الاشتراكية ترتبط أساسا بلقمة العيش، و لا مكانة فيها لرأي يحيد عن النظام المتبع. والحرية في العالم الغربي تتمثل في حرية رأس المال، وفي التعبير الفردي. مهما أخل بالقيم و الأخلاق العامة. أما في الإسلام، فإن هناك ضوابط للحرية من صنع الخالق روعيت فيها طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع. وهكذا" يتصل الالتزام والتحرر في داخل النفس وفي واقع الحياة، ويتعاونان معا في أداء مهمة مشتركة، ولو بدا لأول وهلة أنهما متضادان و متناقضان"[1].

وإذا كان الالتزام في المذهب الماركسي يفرض على الأديب نوعا من القضايا وفي الفلسفة الوجودية دعوة إلى الحرية المطلقة، فإن" الالتزام في نطاق الحرية الإسلامية . لا يضع قيدا على فكر ولا يعطل مسيرة أي جهد علمي، ولا يصادر إبداعا فنيا، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كي تؤدي دورها، و تحقق ذاتها، ولا يحدّ من طبيعة التفاعل الإنساني الخلاّق"[2]. ما دام في خدمة الإنسان و المجتمع. والالتزام من وجهة نظر الأدب الإسلامي شيء فطري و أمر طبيعي لأننا نجد دوما " في الإنسان ميلا للالتزام، ميلا لأن يلتزم بأشياء معينة و ينفذها، ولو وجد في نفسه طليقا من كل التزام خارجي لفرض على نفسه أمورا معينة و التزم بها... إرضاء لما في طبيعته من ميل للالتزام. و من ثمّ فالفوضى المطلقة لا وجود لها، و لا يمكن أن توجد، لأنها ليست جزءا من طبيعة الإنسان. و مع عمق هذا الميل للالتزام في الطبع البشري فإن فيه إلى جانب ذلك ميلا للإحساس بأنه غير ملتزم، و أنه يؤدي الأشياء لأنه هو يريد أن يؤديها لا لأنها مفروضة عليه"[3]

و الالتزام هو نظام يتبع في الحياة من لدن الفرد و الجماعة، فلا تستقيم الحياة إلاّ به كما ذهب إلى ذلك محمد قطب في قوله " الالتزام هو الذي "ينظم" حياة البشرية... فحياة الفرد لا تنتظم إلا بالتزامه نظاما معينا في معيشته... يشمل طريقة أداء كل عمل من هذه الأعمال و يشمل إنشاء علاقات بأفراد الأسرة و أفراد المجتمع و حياة المجتمع لا تستقيم كذلك إلاّ بالتزامه نظاما معينا يشمل العلاقات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و السلوكية و الخلقية و الروحية"[4]. ففي كل مجتمع من المجتمعات البشرية نظم و قوانين وضعت خصيصا لتنظيم الحياة و تنسيق العلاقات بين الناس في كل المجالات الحياتية. و كل فنان يقف إزاءها موقفا معينا. لأن الالتزام "منهج و أسلوب عمل وفق تصور معين، و يمكن القول : بأنه تقيّد بمضمون أو شكل و هو أمر قديم قدم الفنون و الآداب"[5].

و انطلاقا من هذا القول يبدو أنّ الالتزام ليس شيئا جديدا على الآداب العالمية، قديمها و حديثها، و لا حتى على الذين ينادون بنظرية الفن للفن لالتزامهم بنوع معين له علاقة بوجهة نظرهم في الفن.

إذًا، فالأدب "الإسلامي، قديمه و حديثه، ملتزم بالرؤية الإسلامية تجاه الكون و الحياة و الإنسان و من هنا يصبح للالتزام، كما ينبغي أن يدركه الأدباء المسلمون، أربع شعب رؤيوية، و داخلية و أدبية و خارجية، أي تصورية و ذاتية و فنية و اجتماعية. إنه بؤرة تتجمع عندها جميع الجوانب المذكورة لتخلق معادلة تعطي كل جانب حقه من الوظيفة فلا يغيب عنصر لصالح بقية العناصر، و لا يتم التركيز على جانب دون الجوانب الأخرى كما هو حاصل في قطاع كبير من الإبداع الأدبي الإسلامي"[6]. و هذه العناصر الأربعة لا يمكن التضحية بواحد منها على حساب الآخر كأن نعتني بالأمور العقلية و نهمل الأمور العاطفية أو نهتم بالشكل دون المضمون و العكس صحيح. ذلك أنّ التصور الإسلامي تصور وسطي.

فالفن الإسلامي عموما و الأدب خصوصا كان عبر رحلته الطويلة ملتزاما و لا يزال ملتزما بالقضايا الاجتماعية و العناصر الفنية للأدب. و عندما يغيب الالتزام عن معترك الحياة و ساحة الأدب تميل الأمور الاجتماعية و الفنية نحو الميوعة و الانحلال و الابتعاد عن الأعراف و التقاليد، مما يؤدي إلى اضطراب فني و اجتماعي على حد سواء. و في هذا الغرض يقول عماد الدين خليل : "إنّ الأديب هو واحد من المدعوين لممارسة المهمة الخطيرة، بنفسه القادر على التأثير و التحصين، بل إنه مدعو إلى أكثر من هذا، إلى دعوة المجتمعات الإسلامية لاستعادة ممارستها الأصيلة، و قيمها المفقودة و تكاملها الضائع، و تقاليدها الطيبة، و إحساسها المتوحد، و صبغتها الإيمانية التي أبهتتها رياح التشريق و التغريب"[7].

و لا جدال في أنّ علاقة الأدب الإسلامي بالمجتمع علاقة وطيدة ظلت تواكبه منذ العصور الأولى للأدب الإسلامي إلى يومنا هذا. و هي تستمد مقوماتها من التصور الإسلامي العام الذي يهدف إلى تحقيق السعادة النفسية لدى الأفراد و تحقيق التوازن بين طبقات المجتمع المختلفة.و المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الأديب المسلم تجعله ينظر إلى الواقع الاجتماعي نظرة الطبيب لمريضه و تقتضي معالجة النقائص الاجتماعية و الإنسانية بتقديم الحلول الناجعة لها.

و من علاقة الأدب الإسلامي بالمجتمع التي ذكرناها آنفا نستطيع القول بأنّ عنصر الالتزام ظلّ يرافق الأدب الإسلامي منذ نشأته و لم يظهر بشكل جلي إلاّ مع بروز أبحاث محمد قطب في كتابه "منهج الفن الإسلامي"، و نجيب الكلاني في كتابه "مدخل إلى الأدب الإسلامي"، و محمد إقبال عروى في كتابه "جمالية الأدب الإسلامي" و غيرهم. و كلها تدور حول تعريف الالتزام الإسلامي بأنه "ليس جمودا و تحجّرا، وذلك لأنه التزام بالثوابت و الأصول التي لا تتغير أبد الدهر ... و هكذا تبقى القيم الخالدة ما بقي الدهر و يبقى الالتزام بها حفاظا على الحياة و حماية لها من الزيغ و الفساد و الانحراف و الظلم و الفتن"[8].

نعم، إنّ الأدب الخالد هو الذي يلتزم بثوابت الأمة الباقية ببقاء الدهر. و الالتزام الإسلامي هو المحافظة على الثوابت و صيانتها من الانحراف و الفساد. و الأديب المسلم مدعو إلى تقديم في إنتاجه الفني الرسالة الحضارية للإنسانية دون إغفال للشكل. و على حد قول نجيب الكيلاني، فإنّ " االإلتزام الأمثل تلقائي من قلب المؤمن و فكره و نفسه، و هو ليس تصورا هلاميا، أو شعورا عاما، لكنه حقيقة واقعة، تقوم الأحكام و الآداب الإسلامية بتوصيفها، و تحديد ملامحها"[9].

و على هذا النحو، فإنّ الالتزام في الإسلام ليس التزام مضمون فحسب، كما هو عند الماركسيين و الوجوديين، بل التزام مضمون و شكل بحيث لا يهتم بمضامين دون غيرها و لا بغرض دون آخر و يكون في كل الأجناس الأدبية.

و عن علاقة الإسلام بالمسؤولية، فإنّ كلمة "مسؤول" أشمل من كلمة "ملتزم" و هي البديل الذي يعطي للأديب المسلم الحرية في أن يتناول أي موضوع أراد أو أي قضية شاء و بالأسلوب الذي يريد. و لكن هناك شيئا داخليا يتحكم فيه و هو الشعور بالمسؤولية أمام اللّه عن كل كلمة يتفوه بها.

من جهة أخرى فإنّ الالتزام يهتم بالمنافع الدنياوية فقط، أما المسؤولية، فهي تجمع بين الدنيا و الآخرة في توازن كامل. و هناك من يذهب إلى أبعد من هذا و يرى أنّ "الالتزام بمعناه الإسلامي الواسع هو "الطاعة"؛ و الطاعة الحقيقية قناعة إيمانية، و فرح في قلب المؤمن، و سلوك مطابق لحقيقة العقيدة و كل ما يتعلّق بها. الالتزام إذن عمل، يبدأ بالنية الصادقة، و العزم الذي لا يتزعزع، و ينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة، إنه وئام بين الإنسان و نفسه، وبينه و بين الآخرين، و هو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية و قوانينها و أحكامها، و تصورات المؤمن لما يحيط به من كون و سنن، و حيوان و جماد و نبات، و يمتدّ ذلك التصور لربط الحياة الدنيا بالآخرة. و مرجع ذلك كله كتاب اللّه و سنة نبيّه"[10].

و من هنا نخلص إلى أنّ الالتزام في الفلسفة الماركسية و الوجودية يهتم بقضايا مادية آنية. أمّا في المنظور الإسلامي، فهو طاعة و مسؤولية يجمع بين القضايا الدنيوية و الأخروية. و هذا هو الفرق الجوهري بين الالتزامين.

≅ ≅ ≅

إنّ ثمّة تساؤلات و شبهات تثار حول موضوع الالتزام، و تزعم بأنّ الأدب الإسلامي لا يسمح بنمو التعبير الأدبي و الفني في حرية تضمن له الإفادة و الإستفادة شكلا و مضمونا من كل تجارب الأمم و الشعوب التي تشكلت عبر تاريخها السحيق... تساؤلات و شبهات تقول بأنّ الالتزام الإسلامي يقيد الفن، و يضع في طريقه ضوابط، و ينشئ في دروبه معالم و حدودا!! و هذه الضوابط و المعالم تعني كبت طاقات جمالية و روحية عظيمة، أو تعتبر تسلطا قسريا على الفن الذي يقوم على الابتكار الذاتي و الحرية.

و لكي يكون الطرح سليما، ينبغي أن نعكس هذه التساؤلات و نقول : هل تُتْرَكُ للفنان الحرية المطلقة في اختيار شكل التعبير و مداه؟ و إذا لم يلتزم الفنان بالشكل و لا بالمضمون، يعبر كيف شاء، و بأي قالب شاء، من غير أن يتقيد بالمقاييس الفنية و الاجتماعية المتفق عليها!! ألا يعني هذا خروجا عن الطريق القويم؟ أو لم تكن الحرية المطلقة و الخروج عن المعايير الأخلاقية و الاجتماعية و الحضارية و الفنية سببا مباشرا في طغيان الارتجالية و انتشار الشذوذ و التطرف، كما هو الحال في المجتمعات المعاصرة؟

و لكي لا تطغى الارتجالية على الأعمال الأدبية الفنية و لا يسود التطرف الذي يزج بالفنانين في أودية الضلال، و لكي لا ينتشر الشذوذ الأدبي الذي يؤدي إلى الخروج على كل الأعراف الاجتماعية و المعايير الفنية المتعارف عليها، ينبغي على المجتمع أن يلزم الأدباء و الفنانين بطريقة معينة في التعبير الذاتي، و لا يصدر هؤلاء الفنانون في تعبيرهم إلاّ عن نظام الحضارة التي يحيونها، لأنّ كل خروج عن مفاهيم تلك الحضارة أو تجاوزها قد يؤدي إلى انحراف خطير، كما وقع في فترات شتى من التاريخ الإسلامي، و خير مثال على

ذلك مجون و خمريات العصر العباسي، و ما يحدث الآن من انحرافات صريحة و تحدٍّ سافر للقيم الإسلامية.

كلّ هذا يشكل مثالا عمليا على مدى خطر الحرية المطلقة في التعبير الذاتي. لأنّ كل انحراف في التعبير من شأنه أن يفضي إلى خطر يتهدد القيم الأخلاقية و الإعتقادية على السواء في المجتمع الإسلامي.

و ربما يظن بعض الناس، أننا نريد أن نحكّم المعيار الأخلاقي في الفن و حتى نرفع كل التباس، نقول إننا لا نريد أن نجعل من الأخلاق مقياسا فنيا، نقيس به جودة الفن أو ردائته، بل الفن الرفيع يبقى فنا رفيعا سواء خالف المعيار الأخلاقي أو انسجم معه، و كذلك الفن الرديء يبقى فنا رديئا سواء وافق المعيار الأخلاقي أو خالفه. و من ثم، فإننا لا ننفي جودته لكونه خرج عن المعيار الأخلاقي، و إنما ننكر عليه رسالته غير الحضارية، و نعيب عليه توجّهه الهدّام. لأنه "عندما يغيب الالتزام عن ساحة الأدب، و يميل الإبداع جهة الميوعة والانحلال دون اعتبار للقيم الأخلاقية للمجتمع، فإنّ ذلك يخلق جواً أدبيا مضطربا، تتجاذبه السلبيات من جميع النواحي"[11].

و إذا كان مفهوم الالتزام في الإسلام، يعني التزام الفن بالقيم الإنسانية النبيلة، فهذه ليست دعوة إلى مصادرة الإنتاجات الأدبية المنحرفة عن تلك القيم، كما وقع في كثير من البلدان[12] التي أقدمت على إصدار قرارات تقضي بمصادرة بعض الأعمال الأدبية بدعوى الخوف على أخلاق الشباب من الانحراف، و على المجتمع من الفساد.

و الحق، هذه فكرة مغلوطة، لأنّ الفن الإسلامي يستمد تصوره من الفكر الإسلامي الذي يرتكز على مبدأ "لا إكراه في الدين"، يرفض الحجر، و يدين أساليب العنف و القساوة، و يتبنى أسلوب الحوار الأدبي الذي "يظلّ حوارا علميا مهما كانت حدّته و جسامته و هذا عين ما يؤمن به الأدب الإسلامي ... إنّه من أجل أن يكفّ ولدك عن البكاء، لا ينبغي لك أن تضربه و تمنعه من البكاء... و إنما عليك أن تقدم له بديل البكاء..."[13] فكذلك يجب على الأدب الإسلامي –كما يقول محمد إقبال عروي –

أن يرفض المصادرة و يفسح المجال للأدب البناء ليقوم بدوره التغييري. و لكي لا يكون اضطهاد فكري ينبغي مواجهة الأدب بالأدب، و الإنتاج بالإنتاج، و ليس بالسوط، أو بالتصفية الجسدية، أو بالسجن.

لأنّ مفهوم الإسلام للالتزام "أن يمتلك الفنان – أولا – تصورا شاملا متكاملا صحيحا للكون و الحياة و الإنسان، يوازيه انفتاح وجداني دائم، و توتر نفسي لا ينضب له معين إزاء الكون و الحياة و الإنسان و من بعد ذلك يجيء الالتزام... عفويا متساوقا... منسابا... علاقته بالعطاء الفني لا تقوم مطلقا على القسر و التكلف و الإكراه... و لا تعترف أبدا بالمدرسية أو الوعظية أو المباشرة.هذا إذن هو مفهوم الإسلام للالتزام الفني : تصوّر لا يتحرك الفنان إلاّ على ضوئه، و بنوره . و حس وجداني مفعم، يمنحه فرصة الوفاق مع كل شيء... و بين هذا و ذاك يبدو الفن الإسلامي كالينبوع الذي لا ينضب، و كنور الشمس و القمر اللذين لا يكفان عن إرسال النور، و كالأرض الخصبة التي لا تقف عن بعث الحياة و الجمال على سطح الأرض... و بين هذا و ذاك يتدفق الفن الإسلامي شعاعا ورديا –حينا– يغني للتناغم و التآلف و الانسجام، و ينصب حين آخر نارا تحرق الدنس و الشوائب و الصّغار... و أحيانا ثالثة يتفجر حمما تقذف الطواغيت، و تسحق رؤوس الذين يعبّدون الناس للناس من دون اللّه... هذه مساحات الفن الإسلامي، و هذا مداه... و في مراته الثلاث لم يخرج عن سمته التي لا تزول : شهادة لا إله إلاّ اللّه، و إسلام النفس له ... و من ثم يجيء الالتزام عجيبا فذا، لم تشهده مذاهب الفن الأخرى و مدارسه التي دعت إلى الالتزام، لكنها سرعان ما مارست الضغط و الإكراه و التكلف، و الثنائية، و الإزدواج و الوعظ و المدرسية. لا لشيء إلاّ لأنها لم تطرح التصور الذي ينسجم و فطرة الكون و الإنسان. و إلا لأنها لم تشحن حسّ فنّانيها بما يفتح وجدانهم على ما يحيط بهم من مخلوقات"[14].

≅ ≅ ≅

و لا جدال في أنّ علاقة الأدب الإسلامي بالمجتمع علاقة وطيدة، مستمدة من التصور الإسلامي العام للمجتمع؛ لذا يأخذ على عاتقه مهمة الاهتمام بقضايا المجتمع و شؤونه. و بما أنّ الإسلام حياة الأفراد و المجتمعات، فإنّ مسألة الالتزام في الأدب ينبغي أن تكون محل تقدير من قبل الجميع. فيجب على الأديب المسلم أن يبرز القيم العقدية و الخلقية في إنتاجه الأدبي.

و إذا كنا ندرك أن الأدب الإسلامي لا يمكن أن يحيا بمنأى عن الالتزام، فهذا لا يعني أبدا أننا نريد له أن يكون أدب دعوة. ذلك أن أيّ أدب يحصر نفسه في الدعوة لأمر ما أو في إيديولوجيا معينة، يجيء أكثره دون المستوى المطلوب. هذا من جهة، و من جهة أخرى، إذا كان الأدب الإسلامي –كما يعتقد البعض– محصورا في الدعوة، فأين نضع مثلا الأدب الذاتي الذي يتحدث عن هموم الفرد و عواطفه؟ و في أي خانة نضع مثلا أدب الرثاء و شعر الطبيعة ؟ و من هنا لا نريد للأدب الإسلامي الملتزم أن يهتم بمضامين دون غيرها، و إنما نريد له أن يهتمّ بكل الأغراض، يهتم بكل الأجناس الأدبية، و نريد كذلك من كل من يتعاطى للفن عموما أن يجعل فنّه خاضعا للتصور الإسلامي، و منفتحا على كل الثقافات، لكنه انفتاح مسؤول.

و ذلك يعني أن الالتزام في الأدب الإسلامي يجمع بين الفردية و الجماعية، و لا يتحرج من أن يتسع مجال القول فيه فيعالج قضايا متعددة؛ كأن يتحدث الأديب فيه عن ذاته و همومه أو يتغنى بآلام المستضعفين من البشر. إنّه أدب مفتوح على المجتمع و على العالم، مفتوح للنصوص الأدبية التي هي عبارة عن مناجاة روحية أو عاطفية. إنه أدب مسؤول له أن يوظف هذا الرمز أو ذاك سواء كان مصدره ثقافتنا الإسلامية أو غيرها، و له أن يستفيد من هذه الثقافة أو من تلك، لأنه أدب يصدر عن أديب مسلم، يدرك بأنه مسؤول أمام اللّه عن كلمة ينطق بها؛ و لأن قاعدته الأصلية تقوم على الالتزام الأخلاقي و المسؤولية الفردية، فهو ملتزم إزاء المجتمع بالقيم النبيلة و مرتبط بالمسؤولية في الآخرة في آن.

لأن الأعمال الفنية من المنظور الإسلامي، لا تنقسم إلى قسمين : قسم لقيصر و قسم للّه، كما هو الشأن في الدينية المسيحية، و إنما كلها لله.

إنّ غاية الأدب الإسلامي تكمن في تبليغ الناس ما في الكون و الحياة من خير و شر، و حق و باطل، و جميل و قبيح، و الأديب المسلم مدعو لممارسة هذه المهمة في نطاق الالتزام "بمنهج شامل في الحياة، يعبر عنه بالقول و العمل، و يتمثله في وحدته مع نفسه، و في اندماجه مع أفراد مجتمعه. و هذا المنهج الشامل ليس محصورا في نظرية اقتصادية مغلقة، و لا في مدرسة فلسفية مقفلة؛ و لا يرتبط بأية بقعة على وجه البسيطة دون غيرها، و لا بدولة ذات مذهب بعينه، و إنما يتسم هذا المنهج بسمات إنسانية عالمية شاملة تتسع لبني البشر أجمعين، و تمجد الفضائل البشرية من حب و أخوة و تعاون، و شجاعة، و عدالة و رحمة"[15].

و هكذا نفهم أنّ الأدب الإسلامي بالنسبة للحضارة الإسلامية، لا يعيش بعيدا عن الأحداث المتفاعلة في تحريك تلك الحضارة، و لا يخرج عن الأهداف العامة التي ترسمها المفاهيم الإسلامية الكبرى، ذلك لأنه ليس ترفا لغويا، أو عبثا باطلا، بل هو على العكس من ذلك يتفاعل مع الحياة و الأحداث، و يتخذ موقفا صادقا من الكون و ما فيه؛ لأن "المقاربة النقدية الواعية لأي نص أدبي تبرز بما لا يقبل أدنى شك أنّ للأدب وظيفته في الحياة التاريخية و الاجتماعية... وظيفة الكشف و الشهادة على كل القضايا المتفاعلة داخل الوجود الحياتي، وظيفة الإدانة و التبشير بما هو أفضل ... إنّه تجاوز للكائن الفاسد بغية استشراق الغد الأحسن، و هي وظيفة يشهد له بها النقد الأدبي الحديث برغم الدعاوي و التهم التي تسمع بين الآونة و الأخرى من دعاة " الفن للفن" أو "الفن الخالص" ممن لا يرضون للأدب وظيفة فعّالة في الحياة الاجتماعية...و الأدب الإسلامي يشهد للأدب بهذه الوظيفة، بل يوجبها عليه، و إلاّ فإنه لن يخرج عن إطار الذين "هم في كل واد يهيمون"[16].

حقيقة، الالتزام في الأدب الإسلامي لا يقتصر على الجانب المضموني، بل لابد من الالتزام بالقيم الجمالية بغية المحافظة على طبيعة الأدب. فهو يؤكد على الجمال بقدر ما يؤكد على الحق في الإنتاجات الأدبية.

و إذا كان الأدب الغربي عموما يعطي للالتزام بعدا سلبيا، إذ يحدد وظيفة الخطاب الأدبفي : مرسل، و رسالة، و مرسل إليه، كما هو الشأن في البنيوية؛ فإنّ الأدب الإسلامي مدعو إلى تقديم رسالته الحضارية للإنسانية كافة " و من دون إغفال للجوانب الفنية الأخرى التي تشكل طبيعة الأدب و جوهره الحقيقي"[17] الذي ينبغي أن يوظف في البناء و الإستمرارية و يربأ بنفسه عن السقوط في حضيض الهدم و الإرتكاس.

فعلا، الالتزام بالقيم الثابتة يجعل الأدب الإسلامي يرقى إلى مقام رسالته الحضارية التي تهدف إلى تحقيق إنسانية الإنسان و سعادته في هذا العالم. لذا يُعَدُّ فيه منارة تضيء طريقهو حاديا يسوقه إلى الغاية، وهاديا يُخرجه من شرنقة الإستلاب الحضاري، لأنّ "غذاء الجسد معروف، و غذاء العقل لا جدال فيه، و لكن تبقى عاطفة الإنسان، فما هو غذاؤها؟ إنّ الفن الإسلامي عموما و الأدب منه خصوصا، هو المسؤول على تغذية جانب كبير من تلك العاطفة... أن ينمي أشواقها و يهذبها و يرقى بعناصرها، و هنا تكمن وظيفته الذاتية.ومن جهة ثانية، فهو ملتزم بقضايا المجتمع، و بهذا يكسب وظيفته الاجتماعية...ثمّ –من جهة ثالثة – فهو ملتزم بالأدب، أي بالمحافظة على العناصر الفنية للأدب عبر رحلته الطويلة في مسارب الزمان و المكان، و الحرص على تنميتها و إمدادها بكل جديد يثري التجربة الفنية و يعمق صورتها... و قد تبدو هذه الوظيفة غريبة جدا، و لكن حتما ستزول تلك الغرابة عندما نتأكد بأنّ قطاعا كبيرا من المنتمين للأدب يخيّل إليهم أنهم يمارسون تجديدهم في الأدب – وفق منظورهم القاصر للحداثة و أبعادها النفسية و الفنية –لكنهم– في حقيقة الأمر – يعيشون بروح الأدب و يتلفون خصائصه الفنية. و يدمرون قيما جمالية تكسب مشروعيتها مع تقدم الإنسانية... بحثا عن حداثة تجريبية زئبقية بحثا عن صيغ لا صيغ لها... أو لنقل بحثا عن المجهول في أرض المستحيل... نعم!، عندما

ندرك هذا الوضع المزري، و هذه المكيدة التي تدبّر للأدب باسم الأدب. عندها : ندرك قيمة وظيفة الأدب الأدبية. كما يتبين لنا الهدف من الدعوة أن يلتزم الأب بالقيم الفنية. و أخيرا، هذا أمر طبيعي، فإنّ الأدب الإسلامي قديمه و حديثه، ملتزم بالرؤية الإسلامية تجاه الكون و الحياة و الإنسان"[18].

فالمفهوم الحقيقي للالتزام في التصور الإسلامي يجمع بين الأسلوب و المضمون معا، فالتركيز فقط على المضامين التي تواكب الدعوة الإسلامية، نتج عنه إسقاط بعض الأسماء من تاريخ الأدب الإسلامي قديما و حديثا. هذه الأسماء التي أغفلها بعض النقاد هي في نظري أفضل من مارس الأدب الإسلامي إبداعا و دراسة، فمن أبرز هذه الأسماء على سبيل المثال : الجاحظ، ابن رشيق، البحتري، ابن بسام، المتنبي، المعري، الرافعي، المنفلوطي، محمد المويلحي، الكواكبي، الشابي، محمد العيد آل خليفة، و هناك آخرون.

فلتصحيح هذه المفاهيم التي روّجها بعض المشتغلين بالدراسات الإسلامية، نقول : إننا لا نريد من الأدب الإسلامي أن يهتم بمضامين دون غيرها أو يهتم بالمضمون دون الأسلوب، و إنما نريد أدبا إسلاميا يهتم بأدبية النص و جماليته، نريد أدبا يهتم بالشكل و المضمون معا و ذلك في نطاق التصور الإسلامي الشامل للفن و الحياة.

الإحالات

1- محمد قطب . دراسات في النفس الإنسانية . دار الشروق . بيروت . 1974 . ص .123

2- نجيب الكيلاني . مدخل إلى الأدب الإسلامي .كتاب الأمة . ع 14 . ط1 . (ب ت) ، قطر، ص 84.

3- دراسات في النفس الإنسانية . ص .120

4- دراسات في النفس الإنسانية – ص .121

5- مدخل إلى الأدب الإسلامي – ص .76

6- محمد إقبال عروى – جمالية الأدب الإسلامي –المكتبة السلفية – الدار البيضاء – ط 1 – 1986– ص 113.

7- المرجع نفسه – ص .111

8- مدخل إلى الأدب الإسلامي – ص .83

9- المرجع نفسه – ص .85

10- المرجع السابق – ص 79.

11- محمد إقبال عروى – جمالية الأدب الإسلامي – ص .121

12- صودرت رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح؛ و رواية "ألف ليلة و ليلة" في مصر مثلا، في المغرب.

13- المرجع السابق – ص .124

14- عماد الدين خليل – في النقد الإسلامي المعاصر – ص 189-.191

15- نجيب الكلاني – أفسلامية و المذاهب الأدبية – ص 31.

16- محمد إقبال عروي – جمالية الأدب الإسلامي – ص 111.

17-المرجع السابق – ص 119.

18- المرجع السابق – ص 112-113.